لغز مقتل ثروت ميخائيل

[سلسلة تحقيقات عيسى الوكيل]

احمد محمد حسن

(|||)

[لغز مقتل ثروت ميخائيل]

{الجريمة الثالثة من سلسلة تحقيقات عيسى الوكيل}

مقدمة الرواي

أنا حسن الملاح، الضابط المساعد للمحقق العبقري عيسى الوكيل. لقد عملت مع محققين كثيرون على مدار سنوات عديدة؛ لكني والحق يقال لم أقابل شخص مثله. مؤكد أنك سمعت عن: هيركيول بوارو، وشرلوك هولمز، والمحقق كونان، والانسة ماربل. كنت أظن ان سمة الذكاء المفرط، التي تميز هؤلاء الذين تم ذكرهم سلفا_مجرد صفه خرافية، لا توجد الا فى أبطال الروايات البوليسية أمثالهم.

صحيح أن هؤلاء شخصيات مفعمة بالذكاء والخبرة. أبطال أبهروا عقول القراء فى جميع أنحاء العالم؛ لكنهم في النهاية شخصيات خيالية. الأمر مختلف هنا لأني أحدثك عن بطل حقيقي على أرض الواقع، بطل طبيعي من لحم ودم، ينافس أعتى المجرمين ذكاءًا. بطلنا يدعى "عيسى الوكيل". تذكر هذا الاسم جيدا لأنك ستتعلق بصاحبه، وأنا أراهن أنه سوف يحتل مساحة معقولة في ذاكرة عقلك الباطن، فقط عندما يحالفكَ الحظ وتقرأ إحدى مغامراته. عيسى بيه إنسان بسيط، لكنه مهتم بالتفاصيل إلى حد الهوس، يحترمها إلى حد التقديس. حتى أن جملته المحببة إلى نفسه، والتي لا يمل من قولها كلما تطلب الأمر لذلك "التفاصيل هي كل شيء". اضف إلى معلوماتك أيضًا، أنه لم يفشل قط في حل أي قضية_مهما كانت معقدة. دعني أحاول أن أصفه لك باختصار، هو رجل أربعيني نحيف، ذو جسد ممشوق القوام، وسيم الوجه، حليق الذقن والشارب، ابيض البشرة، ذو خصلات شعر أسود_متوسط الطول_وناعم. يتميز بخصلة بيضاء اللون، تقع عند الجانبِ الأيمن من مقدمة رأسه. لديه عينان ضيقتان بنفس لون النبات، وأنف طويل قليلًا؛ هذا ليس كل شيء، لكنْ حتى لا نضيع وقتنا الثمين، دعنا نبدأ قصتنا لتعرف المزيد، هيا بنا يا صديقي.

.....

مسرح الجريمة

استلمنا بلاغ يفيد بوجود جريمة قتل، وكان العنوان إحدى الفلل بمدينة العبور. اليوم هو الأحد. اشارت ساعة يدي إلى الثامنة صباحًا، كان يومًا شديد البرودة، مما يليق بشهر ديسمبر. السماء رمادية كئيبة تنذر بسيل من الأمطار الغزيرة، الأبخرة تتصاعد من افواه الجميع، وكانت رعشة خفيفة تسرى في الأجساد. وبالفعل ذهبت بصحبة عيسى بيه إلى مسرح الجريمة. بعد مرور ساعة أو أقل كنا قد وصلنا.

كان القتيل هو صاحب الفيلا، التي علق على بابها لافتة تحمل اسمه (ثروت عماد ميخائيل). ترجل عيسى بيه من السيارة وأنا تبعته.

وقف أمام البوابة الضخمة تأمل للحظة اليافطة، ثم عبرنا بوابة الدخول، وبدأنا نسير بخطوات بطيئة، على اليمين كان هناك منزل خشبي خاص بكلب الحراسة، الذى كان يقف أمامه، وهو أمريكي من سلالة (بيتبول)، أبيض اللون تحيط عينيه اليسرى شامه سوداء، وكان يزمجر غاضبا وهو يكشر عن أنيابه المخيفة، وينبح نحونا بلا توقف. ربما لو كان غير مقيد بهذا الجنزير الحديدي، لأنقض علينا ومزقنا تمزيقًا. رأينا بجانبه غرفة مربعة الشكل، مشيد بالقرب من بيت ذات الاربع قوائم.

_ إذن، هناك حارس.

قالها عيسى بيه وهو يشعل لفافة تبغ، فأومأت في صمت. مضينا نسير فوق ممر ممهد_متعرج الشكل، وسط حديقة شاسعة المساحة، وكانت الحشائش والأشجار الخضراء على الجانبين. قادنا الرواق نحو المبنى المشيد بإتقان؛ فوق مكان يرتفع عن أرض الحديقة، والذي كان مكون من طابقين، تقف أمامه سيارة بيضاء فارهة من طراز (Bmw). صعدنا ستة درجات حتى أصبحنا أمام باب الدخول، كان هناك رجلا في منتصف عقده الرابع، يجلس على الأرض جانبا وهو يبكي بلا توقف، يرتدى جلباب رمادي اللون، عندما لمحنا زاد بكاءه وهم على الوقوف. كان باب الدخول مواربا، وأمامه على الأرض كان صاحب الفيلا المدعو ثروت، منكفئ على وجهه السابح في بركة من الدماء الحمراء القانية، وفي مؤخرة رأسه ثقب متجلط عنده الدم، من أثر رصاصة اخترقت جمجمته، هذا واضح جدا لكل من ينظر إلى جثته. بحرص دنا عيسى بيه من الجثمان الممدد، ثم جلس القرفصاء وبدأ يتفحصه بنظره_وهو ينفث الدخان. كان رجل طاعن في العمر؛ لكنه على ما يبدو كان مهتما بصحته جيدا. خمري البشرة، متوسط الطول والجسم، ذو رأس نصف أصلع، يحيط فمه دوجلاس من الشعر الأبيض. بغض النظر عن الدماء التي تلطخ ملامحه، له أنف معقوف، ويملك عينان زرقاوان واسعتين. بحرص شديد اقترب عيسى بيه نحو وجه المجني عليه، ثم تراجع وهز رأسه وهو يهمهم.

بعدها انتصب واقفا، ودار حول القتيل مرتين أو ثلاثة، ثم ابتعد متجهًا صوب الباب. وقف لحظة ينقل بصره بين باب الدخول والجثة، بعدها عاد وقف بجانبي وأصابعه تتخلل خصلات شعره. نظر إلى السماء للحظات وهو يطرقع أصابعه المتشابكة ببعضها، وألتفت مشيرا إلى الرجل ذو الجلباب الرمادي، حضر الرجل وهو يجر ساقيه_اللاتي كانتا لا تستطيع حمله، فرك عيسى بيه وجهه وهو يتساءل:

_ أنت الحارس؟

جفف الرجل وجهه من الدموع بأكمام جلبابه، وبلكنته الريفية أجاب بنعم. عاد عيسى بيه يسأله:

_ أنت الذي أبلغت عن الحادث؟

_ نعم يا بيه.

_ ما هو اسمك؟

_ فادي يا أفندم.

ضم رئيسي ياقة سترته وهو مغمض العينين، وقال:

_ إذن، أخبرني يا عم فادي، ماذا حدث بالضبط؟

في هذه اللحظة حضر رجال الطب الشرعي، وبعدما تبادل عيسى بيه التحيات مع قائدهم، انتحى بالعم فادي جانبا وأنا بصحبته، وبدأ الرجل يقص علينا ما يعرفه، قال:" أنا لا أعرف كيف حدث ذلك يا بيه. أمس كان يوم السبت، وهذا يوم أجازتي من كل أسبوع؛ لأن ثروت باشا عطلته الأحد، وهو يحب أن أكون متواجد في هذا اليوم، عسى أن يحتاج إلى شيء. وأنا أعمل عنده منذ عشرة أعوام، وقد اعتدت مساء كل جمعة؛ على السفر إلى بلدتي والعودة باكرا_في صباح الأحد. عندما عدت اليوم تفاجئت به غارقا في دمه هكذا، فقمت فورا بإبلاغكم، وهذا كل شيء سيادتك."

كان عيسى بيه يتثاءب، عندما وجهت سؤالا للحارس، قلت:

_ ألم تلاحظ أي شيء غريب قبل أن تكتشف الجريمة؟

في هذه اللحظة، رأيت في عيني عيسى بيه نظرة رضا؛ فهو يخبرني أن أسئلتي تساعده على إيضاح تصوراته نحو الجرائم. فكر العم فادي للحظات قبل أن يجيب قائلا:

_ لامؤاخذة يا أفندي، لقد وجدت (هتلر) الكلب مقيد بالجنزير. وتعجبت من ذلك؛ لأن الباشا يقوم بتحريره عندما أكون غير متواجد، وحين أعود أقوم بتقيده مرة أخرى. وأيضا هناك شيئا آخر، لقد كان خاملًا على غير عادته.

طلبت من العم فادي أن يعد لنا فنجانين من القهوة. وعندما ذهب شكرني عيسى بيه؛ لأنه يعلم أنني طلبت ذلك من أجله. ثم قدمت له لفافة تبغ وأشعلت واحدة لنفسي، وسألته:

_ ما هو تصور سيادتك المبدئي عن الأمر؟

ضم كتفيه ومط شفتيه وهو ينظر إلى السماء، وبعد لحظة صمت قال:

_ مازلت أقلب الأمر في رأسي، لكني أظن أن الجاني ليس لصًا على كل حال. لا تتعجل الأمور، سوف نرى فيما بعد.

بعدما تناولنا القهوة، كان فريق الطب الشرعي قد انتهوا من فحصهم. أخبرني عيسى بيه أنه سيذهب لقضاء شيء ما_لم يصرح به. وطلب مني أن أترك الحارس، وأذهب أنا لأجمع بعض المعلومات عن المجني عليه، ومن ثم انتظره في مكتبه حتى يعود .

.....

عائلة المجني عليه

بعد مرور ساعتين من الوقت، عاد عيسى بيه بصحبة العم فادي، ثم ترك الاخير ينتظر في الخارج لبعض الوقت. سريعًا اخبرته بما توصلت إليه من معلومات، مثل أن الرجل يمتلك عدة متاجر لبيع الذهب، وأن زوجته متوفاة منذ عشرة أعوام مضت، وليس لديه أية أبناء. يمتلك هذة الفيلا وثلاثة عمارات في ثلاث أحياء راقية، وحساب بنكي كبير بالطبع. لديه شقيقين رجل وامرأة، وثروت هذا أكبرهم على كل حال. الرجل يدعى (سعيد) متوفى منذ خمسة أعوام، كان يعمل ترزي حريمي، ولديه ولد وفتاة. الابن يدعى (بيشوي) وهو شاب عازب في مقتبل العمر_يعمل نقاش، ويقطن في منزل الأسرة مع والدته التي تلازم الفراش بحي (المطرية). والابنة تدعى

(كارولين) متزوجة وفي بداية عقدها الثاني، زوجها يدعى (مكاريوس) وهو شابا يكبرها بعامين يعمل حلاق، ويعيش هو وزوجته في شقة بالإيجار في حي (عزبة النخل).

أما الشقيقة الصغرى للمجني عليه تدعى (زينات)؛ تبلغ من العمر خمسون عاما. وهي أرملة تعمل موظفة في إحدى المؤسسات الحكومية، وتقطن في منطقة (عزبة شنودة) التابعة لحي (مصر الجديدة). تعيش في شقة صغيرة تركها لها زوجها، ومعها ابنتها الوحيدة التي تدعى (بسمة)، وهي فتاة في أوائل عقدها الثالث، تعمل في إحدى النوادي كمدربة لرياضة الجمباز.

كان عيسى بيه ينصت إلى في صمت وتركيز شديد، وكان يدون بعض الأشياء في ورقة صغيرة أمامه، حين توقفت وقلت:

_ هذا كل شيء.

أومأ برأسه متفهما، ثم ضغط الزر الأحمر بجانبه. دخل العسكري، طلب منه أن يسمح للحارس بالدخول، وبدأ التحقيق معه كالتالي:

_ لماذا لم تتصل بأحد أقارب المجني عليه؟

كان ذلك أولى أسئلة عيسى بيه. قال فادي مجيبا:

_ صراحة، لا أعلم ما يمكن قوله، ربما لأن المتنيح لم تكن علاقته جيدة باخوته.

_ وهل لديك معرفة عن أسباب ذلك؟

_ سيادتك تعلم جيدا كيف تكون مشاعر الشخص الثري تجاه أقاربه، خاصة إذا كانوا من الفقراء.

_ من فضلك، أيها العم فادي، كن واضحا في حديثك. _ أقصد حضرتك، أن بعض الناس وربما معظمهم، من الذين يملكون المال بوفرة، يشعرون بأن الآخرين يطمعون في مالهم الخاص. وأي معاملة حسنة تحسب في خانة التملق، من أجل الحصول على حفنة من المال. أظن حضرتك تفهمني الآن؟

أومأ عيسى برأسه أن نعم، ثم أشعل لفافة وناولني أخرى، فقلت متسائلا:

_ وما رأيك أنت، هل كانوا يطمعون في ماله كما كان يظن، أم أن هذا الشعور كان نابعا من داخله بلا مبرر؟

ظهر شبح ابتسامة على ثغر عيسى بيه، لاحظت ذلك بطرف عيني وأنا أشعل لفافتي. أجاب الحارس بعد لحظة صمت، قال:

_ كما تعلم يا بيه، لا يمكن للمرء أن يطلع على نوايا الآخرين. لكنهم جميعا فقراء، ولا يعيبهم إذا طمحوا في أن يرأف بحالتهم، ويجود عليهم ببعض مما رزقه به الرب، بحكم الإخوة ووضعه المادي مقارنة بأوضاعهم البائسة.

_ وهل طلب أحدهم من قبل مساعدته؟

_ نعم.

_ وماذا كان رد فعله؟

_ كان دائم الرفض، بل وكان يوبخهم أحيانا على ذلك.

_ ومتى كانت آخر مرة حدث فيها ذلك؟

سأله عيسى بيه. قبض الرجل على جبينه متذكرا، وبعد لحظات قال:

_ على ما أتذكر، كان ذلك منذ خمس أو ست سنوات، حين جاء بشوى إلى عمه، وأخبره أن والده مريض جدا، وفي حاجة إلى إجراء عملية جراحية في القلب، وأنهم لا يملكون ثمنها. وقتها قال له ثروت بيه، أن المستشفيات الحكومية كثيرة، وأنهم يمكنهم أن يطلبون إجراء العملية على نفقة الدولة، بدلا من أن يتسولوا تكلفتها من ماله الخاص. وقتها غضب الابن كثيرًا من هذا الكلام، ونعت عمه بالبخيل الجاحد. مما أغضب ثروت باشا وجعله يثور ويصرخ في وجهه ويوبخه، حتى أنه لم يستطيع التماسك وقام بصفعه. فقمت فورًا بالتدخل واصطحبت الولد إلى الخارج. أنفقت الكثير من الطاقة لفعل ذلك، لأن الشاب المسكين كان ثائرًا مثل بركان، هذا ما حدث.

اكتفى عيسى بيه بهذا القدر، وطلب مني إحضار جميع الأشخاص الذين تم ذكرهم سلفا.

.....

بيشوى

_ هل علمت بمقتل عمك؟

كان ذلك أولى الأسئلة الهامة، التي طرحها عيسى بيه؛ على نجل شقيق المجني عليه المدعو بشوى. بلا تفكير أجاب قائلا:

_ لا. ولا أظن أن الأمر يعنيني في شيء.

همهم رئيسي، الذي اعتلت وجهه علامات الدهشة، اشعل لفافة تبغ وقال:

_ واضح أنك تشعر تجاهه بكراهية شديدة.

شعر الشاب بالحرج من نفسه، وأعاد النظر إلى أسلوبه وكلماته. كسا الاحمرار وجهه الخمري_النحيف مثل جسده، وحرص على انتقاء كلماته التالية. بنبرة خافتة وأكثر هدوء قال:

_ لم يربيني أهلي على كراهية أحد. يمكنك القول إننا لم نكن على وفاق. ولا يعني ذلك أننا أعداء، فهو في النهاية شقيق والدي.

ابتسم عيسى بيه بجانب فمه وهو يسأله:

_ وما السبب في ذلك؟

_ أظن أن هذه أمور خاصة. أرجو من سيادتك أن تعفيني من الإجابة.

انعقد حاجبي عيسى بيه وهو يبتسم في عصبية، لكنه ابتلع غضبه وتمالك نفسه كعادته. تدخلت صائحا بصوتي الغليظ، قلت:

_ هل جننت، تظن نفسك في لقاء تلفزيوني ها؟!. أجب على أسئلة الباشا دون تجويد، وإلا سوف أجعلك تجيب بطريقتي الخاصة، فهمت؟

فى تلك اللحظة كنت غاضبًا؛ فأنا أمقت المراوغة، ولا أميل كثيرا إلى الطريقة المهذبة، الذى يتعامل بها عيسى بيه مع المتهمين. إذا كان يهمك معرفة رأيي، دعني أخبرك أن الناس نوعين: الأول هم النسبة الأكبر، ويجب أن تعاملهم كما تُعَامَل القرود من قبل مدربها_بطريقة السيد والعبد، حتى تتمكن من السيطرة عليهم. أما النوع الثاني وهم الأقلية، لا تناسبهم هذه الطريقة؛ لأنها ببساطة تزيدهم عنادًا، هؤلاء يليق بهم معاملة الأسود، وهو أسلوب السيد للسيد، حتى تستطيع الظفر منهم بما تريد.

_ تحت أمر سيادتك.

قالها في خشوع، بعدما عدل من وضعية عوينات الطبية مربعة الشكل، ثم استرسل قائلا:

_ لم تكن علاقته جيدة مع أيًا منا، نحن من كنا نوده ونقوم بزيارته. وعلى الرغم من معاملته السيئة لنا جميعًا، إلا أن أبي وعمتي كانا دومًا يطلبان منا: أنا، وشقيقتي، وابنة عمتي. أن نتغاضى عن فظاظته، ونتجاوز عن سوء معاملته. موضحين أن ما يدفعه إلى القيام بذلك؛ هو حرمانه من الإنجاب. بالإضافة إلى ظنه بأن كل من حوله يطمعون في ماله، ويتملقون إليه من أجله. وعندما كنا نعترض على طريقة تفكيرهما السخيفة هذة، كانا يحيلا دفة الحديث مستخدمان معنا لغة العواطف، والعزف على أوتار المشاعر والصعبانيات. وكنا ننصاع لرغبتهما من أجل إرضاءهما فقط لا أكثر. حتى جاء يومًا وقرر ثلاثتنا عدم الاستجابة لهما. وبمرور الوقت نفذت طاقتهما أيضا، وشعر كلا منهما بالملل من الاستمرار في تحمله، ومحاولات كسب مودته التي باءت جميعها بالفشل. بطبيعة الحال المرء منا لا يستطيع المداومة على العطاء، خاصة إن كان غير متبادل. لذلك انقطعت العلاقة بشكل نهائي، وهذا كل شيء.

خرج الدخان من بين شفتي عيسى بيه وهو يقول:

_ لكنك متهم بقتله رغم ذلك.

توتر الشاب، وسرت رجفة في أطرافه، وبنبرة مهزوزة قال:

_ أنا!، لكن، كيف، ولماذا؟. من فضلك يا بيه، أرجوك، لا تتهمني بذلك. صدقني، لست من هذا النوع البشع، الذي يقوم بتلك الأشياء.

ثم انهار باكيا، أضاف عيسى بيه قائلا:

_ ألم تذهب إليه لطلب المساعدة من أجل مرض أبيك؟. ولم يقم فقط برفض طلبك، بل قام بتوبيخك وصفعك وتمزيق كرامتك. ضع نفسك مكاني، أليس هذا دافعا قويا للانتقام؟

كان المدعو بشوى مازال منهمر في البكاء والنحيب، وبعدما تمالك نفسه قليلا، قال:

_ نعم، لا أنكر حدوث ذلك. لكني أقسم لك بالمسيح الحي، أنني لست الفاعل. أقتل!، لا، لا، لا، لم أفكر حتى في ذلك.

ضيق عيسى بيه حدقتا عينيه، وكان يمرر إبهامه وسبابته عند أسفل ذقنه الحليق، وقال:

_ ربما تكن صادقًا، من يعلم؟. لكنك مؤكد لديك على الأقل معلومة عن الجاني.

والدموع تسيل من عينيه، وتنساب فوق وجنتيه بارزتا العظام، ومن بين شفتيه المرتجفتان خرجت الكلمات بصعوبة، قال:

_ لا أعلم أي شيء عن الأمر. صدقني، لا أعرف، لا أعرف.

هز عيسى بيه رأسه وهو يقول:

_ كنت أعلم أن هذه ستكون إجابتك. إذن، سوف نستضيفك عندنا، حتى نصل إلى الحقيقة. ربما تسترجع ذاكرتك وتتذكر شيئًا.

قالها، ثم ضغط الزر الأحمر بجانبه. عندما ظهر العسكري أمره أن يصطحبه ويضعه في الحجز.

إذا أردت الحق_أشفقت عليه، حين شاهدته والعسكري يقبض على زراعه. كان يسير معه وهو يجر ساقيه جرًا، كمن يساق إلى غرفة الإعدام. لكني ذكرت نفسي بأن المرء منا يكن في أقصى درجات البراءة، بل ويكاد أن يبرز من جانبيه جناحين السلام، فقط حين يوقن أنه في موقف ضعف حقيقي، ولا يقوى على التصدي وإطلاق سراح الجبروت القابع بداخله.

.....

كارولين

_ ماذا كان رأيك في المجني عليه؟

هكذا وجه عيسى بيه سؤاله، إلى ابنة شقيق القتيل. تدعى كارولين، فتاة بدينة الجسم، قمحية البشرة، لا تملك جمال أخيها، على الرغم من تشابه بسيط في الملامح. كان الخوف باديا على صفحة وجهها، بنبرة قلقه اجابت:

_ ليس لدي ما أقوله، فقط كان شقيق أبي لا أكثر. ابتسم عيسى بيه ساخرًا، وقال:

_ هذه لا تسمى إجابة، ثم هل لفظة عمي صعبة النطق، أم أن هناك سرًا ما وراء ذلك؟

_ لا، لقد خرجت الكلمات منى بتلقائيه، بالطبع هو عمي شئت ذلك أم أبيت.

سألتها محاولًا اختصار الطريق.

_ هل يمكنكِ التكهن بالفاعل؟

أحمرة وجنتيها وأرنبة أنفها، وبنبرة مترددة قالت:

_ بالطبع لا، كيف أستطيع فعل ذلك، ومن أين لي أن أعرف الجاني؟!

وجه لي عيسى بيه نظرة عتاب، وكانت إشارة كافيه لكي أصمت، ثم سريعا قال:

_ حسن بيه يقصد أن تخبرينا بأعداءه، إن كان له أعداء، من فضلك، لا تبخلي بأي معلومة تعرفينها، حتى وإن بدت لكِ تافهه.

ارتخت ملامحها قليلا، بعدما اطمأنت أنها خارج دائرة الاتهام، وبنبرة هادئه تحدثت قائلة:

_ صراحة وباختصار، كانت علاقتنا به مقطوعه، ولم تكن بيننا موده ولا تواصل، مثلنا مثل كثير من العائلات المفككه، لذلك نسبة معلوماتي عنه تعتبر صفر.

_ وما السبب وراء ذلك؟

_ كان يشعرنا دومًا أن وجودنا بجانبه حمل ثقيل على قلبه، وكان يتعالى علينا باستمرار، وإذا أردت رأيي حقًا، كان رجل بخيل حتى في مشاعره، ولم يكن لديه بصيص خير تجاه أهله، لذلك لم أتأثر بموته، ولا يوجد لدى شيء آخر يقال.

قام عيسى بيه بإنهاء التحقيق معها عند ذلك. كان واضح أنه أكتفي بأقوالها، حتى أنني لاحظت منذ البداية بعدم اكتراثه بأجوبتها. شعرت أن ذهنه منشغلًا بشئ آخر أكثر أهمية. كان يفتقد حماسه المعتاد خلال التحقيقات؛ وكأنه يقوم بأداء روتين ممل لا يمكن تجاوزه.

.....

زينات

حضرت السيده زينات شقيقة المجني عليه. وهي امرأة نحيفة، متوسطة الطول، منحنية الظهر قليلا، ولها نفس ملامح القتيل. وعلى الرغم من تقدم عمرها، والتجاعيد التي لن يراها إلا من يدقق النظر في وجهها، إلا أنها لازالت تحتفظ بجزء كبير من جمالها. كانت في حالة حزن شديد مما حدث لأخيها، ولم تكف عن البكاء والنحيب، تظفر بمنديل ورقي تفرغ داخله مخاطها طوال الوقت.

قام عيسى بيه بمواساتها ببضعة كلمات، وبطريقته الخاصة طلب منها أن تسمح له بطرح بعض الأسئلة، عسى أن تساعد إجاباتها على الوصول إلى الفاعل. بطبيعة الحال استجابت لطلبه، وحاولت أن تتمالك نفسها بقدر الإمكان.

بدأ حديثه متسائلا:

_ متى آخر مرة التقيتِ به؟

_ تقريبًا، منذ ثلاثة سنوات على ما أظن.

أشعل عيسى بيه لفافة تبغ، ثم ألقى بسؤاله الثاني، قال:

_ أليست هذه مدة كبيرة جدا تمر على عدم لقاء شقيقين؟

طأطأت رأسها خجلًا، ثم بعد لحظة تفكير أجابت قائلة:

_ للأسف هذا صحيح، لكن هناك أسباب لذلك.

_ إذن، أسمحِ لي أن أتعرف عليها.

عضت على شفتيها السفلى في توتر، ودارت عيناها داخل محجريها، ثم جففت دموعها وأخرجت بخاخ من حقيبة يدها. انفرج فمها وضغطت ليعبر الرزاز داخله، ثم اعادته وقالت:

_ لم يمن الرب على أخي بنعمة الإنجاب، برغم محاولاته الكثيره وسعيه بشتى الطرق، في النهاية تقبل الأمر مستسلمًا لقدره، وبالطبع ترك هذا أثرًا في نفسه، وبدأ يصب كل طاقته في العمل، وظلت ثروته تزداد تدريجيًا حتى أصبح مؤمَنًا ماديًا، لكنه رغم ذلك، لم يستطيع المال أن يعوضه عن الفراغ والوحدة الذي كان يشعر بهما، كنت أنا وأخي سعيد رحمه الله نعلم بذلك ونتعاطف معه، وظللنا نتردد على زيارته بين الحين والآخر، خاصة بعدما توفيت زوجته وأصبح وحيدًا بمعنى الكلمة، وعلى الرغم من أن معاملته معنا لم تكن جيدة، لكننا اتفقنا على التغاضي وتقبل طباعه كما هي، فهو في النهاية اخينا الكبير والظفر لا يخرج من اللحم، حتى جاء يوما ما وهكذا بلا أسباب، صرخ فينا موجهًا اتهامات ليست لها صحة من الأساس، قال إننا نتملقه من أجل ماله، وأن السبب الرئيسي وراء زيارتنا هو الطمع في ثروته، وأننا ننتظر موته بفارغ الصبر حتى نرثه، وبالطبع كان حديثه سيئ للغاية وبلا ريب قد تسبب في جرح مشاعرنا، بالإضافة إلى طرده لنا فور إنهاء حديثه، ومن يومها انقطعت زياراتنا ولم نجرؤ على رؤيته مرة أخرى، وبرغم ذلك سامحناه على إهاناته لنا، لكن عدم معاودة زيارتنا له كان خشية من رد فعله لا أكثر، ثم مرض أخي سعيد وبدأت حالته تتدهور بمرور الأيام، لأنه كان في حاجة لإجراء عملية جراحية مكلفة وتفوق إمكانياته الماديه، فكرت أن أذهب إليه وأطلب منه مساعدة شقيقنا، لكني بطبيعة الحال خشيت أن يوبخني وتكهنت برفضه، لكن بشوى ابن أخي الذي كان يشاهد معاناة أبيه، قرر أن يقدم على هذه المحاولة ويحدث ما يحدث، ويا ليته ما ذهب لقد قام بتوبيخه ونهره، حتى أنه تجرأ وأهانه حين صفع وجهه وطرده، وانقطعت أخباره منذ ذلك اليوم.

همهم رئيسي وهو يهز رأسه في أسى. تدخلت متسائلا:

_ لم نفهم حتى الآن، ما سبب معاملته لكم بهذه القسوة؟

في اللحظة التي طرحت فيها سؤالي، قدم لي عيسى بيه لفافة تبغ وهو مبتسمًا. ظهر الضيق على وجه المرأة، وكمن يلقى بآخر ما تبقى في جعبته، وبنبرة لا تخلو من الغضب، قالت:

_ ربما لأننا لسنا أشقائه.

وعندما لمحت الدهشة فوق وجه كلًا منا، راحت تحكي لنا لتوضح الأمر، قالت:"لقد كان أبي متزوجًا من والدته أولًا، وحين توفيت كان ثروت يبلغ من العمر ثمانية سنوات. بعد عامين تزوج والده من والدتي؛ وأنجبني أنا وأخي سعيد. كانت أمي تعامل ثروت معامله حسنه، لكنه لم يستطع أن يراها إلا زوجة أبيه. كانت دوما نظراته إليها غاضبه يملئها السخط، وكان عدم تقبله لها باديا حتى للأشخاص عديمي الملاحظة. كنت افسر ذلك بأنه في قرارة نفسه ربما لم يكن كرهه تجاه شخصها، بل كان يرفض مجرد فكرة أن تحل مكان أمه امرأة أخرى. كانت أمه تنحدر من عائلة ثرية إلى حد ما. لسبب غير معروف، في أواخر أيامها قامت ببيع قطعة أرض ذات مساحة كبيرة، كانت قد ورثتها عن أبيها، ثم أعطت ثمنها لأحد أخواتها كأمانة ترد إلى نجلها الوحيد ثروت، فى حين غادرت الحياة؛ بشرط أن يكون قد بلغ سن الرشد. وحين بلغ الخامسة عشرة انتقل من بيتنا وذهب للعيش مع خاله، الذي كان يملك متجرا صغيرا لبيع الذهب، وهو الشخص ذاته التي أوصته أمه بالحفاظ على ما تركته. عمل ثروت مع هذا الخال واجتهد حتى أتقن المهنة، وعندما بلغ أخي سن الرشد أعطاه الرجل أمانته. وبعد

عامين توفي الرجل وتفاجئ ثروت بأنه أوصى إليه بالمتجر، لانه لم يكن للرجل اية أبناء. من بعد ذلك قام بتطوير المتجر والتوسع في هذه التجارة المربحة، وهذا كل شيء أعرفه."

تنهد عيسى بيه وقال:

_ إذن، نشكرك على كم المعلومات التي اضفتيها إلينا، والآن تفضلي، يمكنك الذهاب، وإذا احتجنا إليكِ، سوف نرسل فى طلبك.

وهكذا انتهى التحقيق مع السيدة زينات، ولم نصل إلى شيء بعد.

.....

(هذا جزء لم يقصه أو يعرفه الرائد/ حسن الملاح)

حين خلد عيسى إلى نومه بعد يوم طويل وشاق، رأى في حلمه أنه يقف وسط أرض زراعيه شاسعة المساحة، وحوله صخب تسلل إلى أذنيه من العدم، على الرغم من الفراغ الذي يحيطه. بدأ يسير بخطوات بطيئة مبتعدًا وهو يسد أذنيه بيديه؛ وكان الانزعاج باديا على ملامح وجهه الممتعض. تحت أقدامه كانت الحشائش الخضراء تنطوي مثل صفحات الورق. انكمش جسده حين شعر ببرودة الجو. وبعد لحظات طويلة مضت ببطء وكأنها أيام من السير المستمر، لمح كيان على مسافة بعيدة المدى، لم يتبين كنهه أهو إنسان أم حيوان أم جماد. بدأ الفضول يدفعه إلى زيادة سرعة خطواته. وبما أن الضوضاء لم تتوقف أو تهدأ، خاصة أنه لم يعرف مصدرها حتى الآن، ظلت خطواته تتسع أكثر فأكثر، وبالتدريج تحول سيره إلى ركض. وخلال ذلك كانت الصورة تتشكل وتتضح شيئًا فشيئًا، حتى أصبحت أكثر وضوحًا واستطاع أن يرى هدفه، الذي اكتشف أخيرًا أنه جسد بشري لشخص ما، مما زاد من حماسه وطاقته البدنية.

في النهاية توقف أمامه على مسافة جيدة لا تزيد عن عدة أمتار قليله، انحنى قابضًا فوق ركبتيه وهو يلهث من الإرهاق، محاولا التقاط أنفاسه المتقطعة. خلال ذلك كان يترقب الرجل الواقف أمامه في شك، لأنه كان ثابتًا لا تصدر منه أية حركه، ساكنًا، صامتًا مثل قبر، وكأنه عمود إنارة بلا روح.

أغمض عيسى عينيه للحظة ثم فتحهما من جديد، وعدل من وضعه بعدما كان منحنيًا صار منتصبًا، ثم تفرس في وجه الرجل بتركيز أكثر هذه المرة. وهنا تذكره وتعرف عليه، حين طابق ملامحه بالصورة التي عرضتها عليه ذاكرة عقله اللا واعي. خاصة عندما لاحظ الثقب الذي يتوسط جبهته العريضه، وخيط الدماء الرفيع المنساب فوق وجهه، وذقنه البيضاء التي تقطر دمًا. علم أنه المجني عليه ثروت ميخائيل، الرجل المسؤول عن التحقيق في قضية قتله حاليا.

_ لماذا أنت صامت؟، هيا تحدث، من فضلك.

صاح عيسى بصوت مرتفع، لكن مستوى الضوضاء زاد من حوله، مما أجبره على إلصاق كفيه بأذنيه مرة أخرى. نظر إلى الرجل ليرى أثر كلماته عليه، فوجده مازال ينظر إليه بملامح خالية من أي تعبير.

ظل عيسى يتألم من الصخب الذي لا يطاق، وشعر أن رأسه تكاد أن تنفجر من الصداع، ووجد نفسه يصرخ قائلا:

_ أخبرني من المسؤول عن إنهاء حياتك بهذه الطريقة البشعة؟، تحدث يا رجل، أرجوك، لا يمكنني التحمل أكثر من ذلك.

في هذه اللحظة لمح شبح ابتسامة على ثغر القتيل. لكن ما زاد من دهشته، أن ثروت غير متأثر مثله من الضوضاء. تتدلى زراعية بجانبه، ولم يحاول حجب الصوت عن مسامعه. راح عيسى يتلوى يمينًا ويسارًا وهو ممسكًا رأسه بكلتا يديه. شك للحظة أنه خيل إليه أن شفاه المجني عليه قد تحركت، وحين أمعن النظر وهو يحاول التماسك وتحمل الألم الذي يشعر به، تأكد أن ما رآه حقيقه لا شك فيها، كانت شفتي الرجل تتحرك فعلًا بلا توقف.

"إذن، هو يتحدث الآن حقًا، مؤكد هو يجيب على أسئلتي. لكن اللعنة على هذه الضوضاء المزعجة، لا أستطيع تبين ما يقول، يجب أن أسرع في إبعاد يدي حتى أتمكن من سماعه"، هكذا تحدث عيسى إلى نفسه. وقبل أن يبعد يديه عن أذنيه، شاهد الرجل وهو يدور إلى الخلف، ويشير إلى مكان على مقربة منهما. نظر عيسى تجاه سبابته المصوبه نحو شئ ما، في نفس اللحظة تداعت الصورة إلى عقله فتذكر. هذا المكان المشار إليه هو فيلا الرجل، الذي زارها عيسى من قبل. لذلك لم يستطيع أن يمنع نفسه من المخاطرة بترك أذنيه، والصراخ في وجه الرجل من قوة الألم الذي ينتابه، قال:

_ لا أفهم ما ترمي إليه!، ماذا تقصد بالضبط؟.

وهنا هوى عيسى على الأرض فاقدًا الوعي.

استيقظ بعد لحظة، وراح يفكر ويفكر محاولًا الوصول إلى المغزى من حلمه.

.....

تقرير الطب الشرعي

حين جاء عيسى بيه في هذا اليوم، في وقت متأخر عن ميعاد حضوره المبكر، والذي لم يتغير منذ عملنا معًا. لم يكن في حالته المعتاده، بل بدا لي أنه متعكر المزاج، منشغل الفكر إلى حد بعيد. أخبرته بوصول تقرير الطب الشرعي، والذي لخصته له بأسلوبي كما المعتاد. موضحًا أنه ينص على أن المجني عليه ثروت عماد ميخائيل، كان تحت تأثير الكحول وقت حدوث الجريمة، وقد غادر الحياة في التوقيت التالي: ما بين الساعة الثانية والنصف والثالثة صباحًا. حدث ذلك عندما تعرض لطلق ناري، من مسافه لا تقل عن عشرين يارده. حيث خرجت الرصاصة من فوهة مسدس من النوع (حلوان920) عيار تسعة ملي، اتخذت طريقها نحو منتصف رأسه من الخلف، مما جعلها تمزق خلايا مخه خلال عبورها، ثم أحدثت ثقب آخر عند محاولة خروجها من مقدمة رأسه. وأن الإصابه تدل على أن القاتل شخص محترف في التصويب.

أومأ برأسه متفهمًا وهو يتناول ورقة تقرير الطب الشرعي من يدي، ثم طلب مني إحضار ابنة شقيقة المجني عليه، تلك الفتاة المدعوه (بسمة كريم غبريال)، وبالفعل ذهبت لإحضارها كما طلب.

.....

بسمة

_ أخبريني يا آنسه بسمة، كيف كانت علاقتكِ بالمجني عليه؟

سألها عيسى بيه، وكان يتابع ملامح وجهها باهتمام بالغ. كانت الفتاة مليحة الوجه، ذات جسد رياضي رشيق مما يليق بمهنتها، فارعة الطول، يتدلى شعرها المعقوص من الخلف على هيئة ذيل حصان، يبدو الذكاء على نظرات عينيها الضيقة الحادة، وكانت من الشخصيات التي تتمتع بميزة الثبات الانفعالي.

بنبرة هادئه وملامح لا تعبر عن شيء، أجابت قائلة:

_ لقد كان خالي رجلًا ثري كما علمتم، وكان يحب عمله كثيرًا، وبطبيعة الحال لم يكن وقته ملكه، ربما لهذا السبب كان منشغلًا عنا، ولم يحالفنا الحظ لكي نلتقي بشكل دائم، حتى يصير بيننا مودة مثل باقي العائلات، على كل حال، ليس بوسعنا الآن إلا الدعاء له بالرحمه.

أومأ عيسى بيه برأسه متفهمًا، وأشعل لفافة تبغ وهو يتفرس في وجهها، ثم أعطاني لفافة تبغ وقدم لها واحدة، رفضت مبتسمه وهي تقول:

_ أشكرك، لكني اعتدت على تدخين نوع معين، يتناسب مع طبيعتي كامرأة.

قالتها وهي تعبث في حقيبة يدها، ثم أخرجت علبة سجائر نسائيه، من النوعية التي تحتوي على نكهات، ثم أشعلت لفافة. وحين نفثت الدخان، استطاعت أنفي تمييز رائحة النعناع.

هنا شعرت بعدم استطاعتي على كبح جماح رغبتي في التساؤل، قلت:

_ لكنهم جميعًا أقروا بسوء معاملته لكم، لماذا أنتِ الوحيدة التي اختلفت إجابتك؟

رمقني عيسى بيه بنظره ذات مغزى. فطنت إلى رغبته في عدم مشاركتي هذا التحقيق، فالتزمت الصمت وأنا أشعر بغضب طفيف. لكن سرعان ما تلاشى، حينما شعرت بأنه رغم كتمانه، ربما توصل إلى أشياء لا أعرفها.

نفثت بسمة الدخان قبل أن تجيب قائلة:

_ أنا لست مسؤولة عن آراء الآخرين، حضراتكم توجهان لي الأسئلة، وأنا أجيب بما يعبر عن تفكيري.

ثم وضعت ساق فوق أخرى. ذم عيسى بيه شفتيه، ثم قال:

_ إذن، أين كنتِ وقت الجريمة؟

_ صباح يوم الأحد كنت في . . .

قاطعها عيسى بيه وهو يضغط على كل حرف يقوله

_ لا أقصد وقت اكتشافها، بل وقت حدوثها، خلال أولى ساعات يوم الأحد، تحديدًا ما بين الثانية والثالثة بعد منتصف الليل.

فكرت لحظة، ثم قالت:

_ أتذكر أني غادرت المنزل في هذا التوقيت تقريبًا، كنت أبحث عن بخاخ الربو لوالدتي المريضة.

همهم عيسى بيه، ثم نفث الدخان قبل أن يقول:

_ وهل البحث عن الدواء يحتاج إلى سيارة؟

انعقد حاجبي دهشة، وخيل إلى أني لمحت رعشة خفيفة في ساقها. مضت لحظة من الصمت قبل أن تجيب، تظاهرت خلالها بالبحث عن شيء ما داخل حقيبتها، ودون أن تنظر إليه قالت:

_ لقد حدث فعلًا أنني أخذت سيارة صديق لي، لكني اضطررت إلى ذلك نظرًا لتأخر الوقت، وعدم عثوري على نوع البخاخ داخل الصيدليات المحيطة.

غادر عيسى بيه كرسيه، واتجه نحو النافذة، بعدما رمقها بنظره سريعه. خلال ذلك قامت هي بإشعال لفافة تبغ ثانية، ثم توقف ودون أن ينظر إليها قال:

_ كلام منطقي جدا.

ثم عبث في فروة رأسه، وبنبرته الهادئة التي تثير الأعصاب قال متسائلًا:

_ هل تعانين من الأرق؟

ارتفع الحاجب الأيسر للفتاة، وظهرت مسحة من الغضب على وجهها، قبل أن تجيب مستنكره:

_ لا، كيف أعاني من الأرق وأنا فتاة رياضية؟!

عاد عيسى بيه إلى مقعده مرة أخرى، لكنه كان يسير بخطوات بطيئة، وعيناه تحملق بها دون أن يرتد طرفه، ثم بملامح أظنه تعمد أن تبدو حائرة قال:

_ أنا أيضًا قلت ذلك، لأنه بناء على معرفتي البسيطة، اعلم بأن الرياضة تساعد على تحفيز الدماغ بشكل أكبر لإنتاج هرمون الدوبامين.

ثم في مشهد مسرحي يليق بممثل متمكن، ظل يمرر إبهام وسبابة يده اليسرى أسفل ذقنه الحليق، وكان ينظر إلى اللا شيء، كمن يفكر في شيء لا يجد له إجابة، ثم استرسل قائلا:

_ وهذا ما جعلني متحيرًا، وتسائلت فى قرارة نفسي، لماذا ابتاعت بسمة الميلاتونين؟، يا ترى عندك اجابة؟

صعقها سؤاله وجعلها تعجز عن إخفاء توترها_الذي أصبح مرئيًا لنا، حين أنزلت ساقها من فوق الأخرى لا إراديًا واهتزت في جلستها، ثم حاولت أن تتمالك نفسها وهي تجيب:

_ لا أفهم صراحة ما ترمي إليه، هل تتهمني بالقتل؟ ابتسم عيسى بيه ساخرًا، وسريعًا قال:

_ هذه الإجابة غامضة وغير مناسبة إطلاقًا!، لكن الجزء الجيد في ذلك، أنك لم تحاولي إنكار ما قلته، لأنه ببساطة حقيقة لا ريب فيها، وبإمكاني إثباتها بكل بساطة، فقط إذا أردتِ ذلك.

ظهر الضيق على وجهها لأول مرة منذ حضورها، وأشعلت لفافة تبغ ثالثة نفثت منها سحابة كثيفة، ثم بنبرة بدت عصبية قالت:

_ وما الجرم في شراء عقار منوم؟

ابتسم عيسى بيه راضيًا، ثم أراح ظهره إلى الخلف، تجاهل سؤالها وقال:

_ علمت أنك كنتِ من أمهر رماة نادي الصيد.

دفنت سيجارتها في المنفضة بيد مهزوزة، وأجابت باقتضاب قائلة:

_ كانت مجرد هواية، مارستها أثناء فترة المراهقة.

_ حقًا؟!، يا لها من خسارة.

قالها عيسى بيه بحاجبان مرتفعان يعبران عن دهشته المزيفه، ثم نفث دخان لفافة أشعلها للتو تجاهها وهو يضيف قائلا:

_ كم الساعة معكِ الأن؟

قضبت ما بين جبينها وهي تنظر إليه، وبطريقة بدت ساخرة نظرت إلى ساعة يدها، وقالت:

_ الساعة الآن ال . . .

لكنه قاطعها فورًا

_ لا داعي، تعرفي أن القديمة كانت أكثر شياكه.

انعقد حاجبيها وهزت رأسها في عدم فهم، في اللحظة ذاتها بسط يده تجاهها. من خلف الكيس البلاستيك الشفاف ظهرت ساعة يد، محطمة القرص الزجاجي، تجويفها ذات اللون الأسود، بداخله العقارب والعلامات بلون الذهب اللامع. أما رقمي الثانية عشرة كانتا تتميز بعلامة ذات بريق على هيئة ماسة. أعلى العقارب وأسفلها

كتبت الماركة باللغة الإنجليزية، حين دققت النظر استطعت قراءتها بصعوبة (ارمترون)، في الأعلى وأسفل العقارب كلمة (دايموند). كان سوارها رفيع مكسو بالسواد من الخارج وبني اللون من الداخل، وكان السوار متدلي نظرًا لانقطاعه من إحدى الجانبين. جحظت عيني الفتاة من المفاجأة، كان عقلها يرفض تصديق ما تراه. لاحظت ذلك من تعبيرات وجهها، لكني حائرًا لم أفهم شئ حتى الأن.

أضاف عيسى بيه موضحًا:

_ أليست هذه ساعتكِ؟

_ لا، ليست ساعتي.

نطقتها مندفعة دون تفكير، ولاحظت أن توترها قد زاد أضعاف. ألقى الساعة فوق المكتب أمامها، وأخرج هاتفه المحمول عبث به سريعًا، ثم أداره وقرب شاشته من عينيها. رأيت على الشاشة صورة للفتاة وهي تجلس في مكان ما، تقبض يدها اليسرى على كوب زجاجي تتجرع منه عصير البرتقال. كان عيسى بيه قد قرب الصورة اكثر، لتظهر خلالها نفس الساعة بوضوح وهي ترتديها في ذات اليد. فزعت الفتاة حينما رأتها، وظلت عيناها تدور داخل محجريها في صمت، لم تنبث ببنت شفة وكأن لسانها قد عقد. غادر عيسى بيه كرسيه وهو يدس يديه داخل جيوب سرواله، ودار حول مكتبه حتى وقف بجانبها. كانت تتلاشى النظر إلى عينيه، وارتجف جسدها أكثر من مرة.

.....

المواجهة

بنبرة الواثق من نفسه والعليم ببواطن الأمور، تحدث عيسى بيه وراح يسرد الأحداث قائلا:

"لا داعي للكذب والمراوغة، صدقيني أنتِ لست بالذكاء التي تتصوريه. لقد قمتِ بالتخطيط الجيد بالفعل، لكنك غفلت عن أن هناك إله يرى كل شيء. القدر وحده هو من جعلك ترتكبين بعض الأخطاء الصغيرة؛ حتى ينكشف أمرك وتصبح الصورة أكثر وضوحًا. حين ذهبت لمعاينة مسرح الجريمة، أول النقاط البسيطة التي لاحظتها، هي أن البوابة الرئيسية للفيلا تعمل بشكل إلكتروني، بالإضافة إلى الكلب الذي يقع منزله بالقرب منها من الداخل، والأسوار التي تحيطها عالية بعض الشيء. لذلك لا يمكن للجاني الدخول عبر البوابة أو حتى تسلقها، لأن الكلب سوف ينبح ويحدث ضجيج ربما يوقظ أصحاب الفلل المحيطة. وبناء على ذلك لا يوجد خيار للقاتل سوى تسلق الأسوار، وهو أمر شاق كما تعلمين. لذلك دونت في مفكرتي الخاصة نقطتين: الأولى أن الفاعل على معرفة جيدة بالمكان، والثانية أنه رشيق الجسم خفيف الوزن. وحين عبرت البوابة نبح الكلب تجاهنا بلا توقف، كانت الشراسة والعدوانية تبدو جلية في رد فعله فور رؤيتنا. وقتها شعرت وكأنه ربما يقوم بتعويض ما لم يستطيع فعله بالأمس. في البداية ظننت أن الفاعل دخل الفيلا بصحبة المجني عليه، لا يمكن أن يتسلل أحد الدخلاء الى المكان دون أن يشعر به كلب مثله. دارت الأفكار في رأسي وساورني الشك، وتراجعت عن النقطتين اللتان قمت بذكرهما سلفًا. وحين أخبرني الحارس بأن المجني عليه، يقوم بتحرير الكلب أثناء غيابه عن المكان حتى يعود ويقيده بيده، وأنه تفاجأ حين عاد ووجد الكلب مقيد بالفعل في موضعه كما تركه، هنا ظننت أن خاطرة دخول الجاني بصحبة المجني عليه صحيحة تمامًا. كلب شرس مثل هذا المدعو هتلر لا أظن أنه سيكون ودودًا مع الغرباء، خاصة أن هذا النوع من الكلاب معروف عنه العناد والتمرد حتى مع صاحبه، مما أكد ظني بأن المجني عليه تركه مقيد حتى لا يزعج ضيفه. لكن بعد لحظات من التفكير، تساءلت في قرارة نفسي، قلت:" لكن لماذا لم يحرره بعد مغادرة الضيف؟"، ما فهمته من الحارس أن الرجل كان يحرره حتى يستطيع حماية المكان، لكني عجزت عن تجاهل ذلك الشعور، الذي كان ينفي وجود أي ضيف. وهنا لمعت فكرة ما في رأسي، فقمت بطلب مساعدة صديق لي يعمل طبيب بيطري، وبالفعل ذهبت إليه واصطحبته إلى الفيلا، فقام بأخذ عينة دم من جسد الكلب. فيما بعد أخبرني صديقي أن الكلب هتلر، قد دس له أحدهم حبوب الميلاتونين في الطعام، وكانت كمية كبيرة جعلته يغط في نوم عميق. وهنا عدت أدون النقطتين من جديد، استبعدت دخول الجاني بصحبة المجني عليه، وانتبهت إلى أن القتيل كان ممدد ما بين باب الدخول وباب السيارة. وتذكرت مفتاح الباب الذي كان مستقرًا في الكالون، وكانت تتدلى منه سلسلة تحمل مجموعة مفاتيح أخرى. مما يقول ان الفاعل كان يكمن للرجل خلف الأشجار، انتظره حتى وصل وترجل من سيارته، وأثناء معالجة الكالون كان الجاني يتخذ وضعية التصويب، وفي اللحظة التي فتح فيها الباب قام القاتل بضغط الزناد. فيما بعد علمت من تقرير الطب الشرعي، أن القاتل قام بإطلاق النار من مسافة لا تقل عن عشرين يارده، مما أكد السيناريو الذي تكهنت به. عذرا نسيت أن أذكر لكِ سؤال آخر راودني في البداية، يقول:" كيف لم ينتبه الرجل إلى أن الكلب خاملًا عند عودته إلى الفيلا؟".

لكني وجدت الإجابة سريعًا حين عاينت الجثة، حدث ذلك عندما دنوت من فمه وتشممته، وقتها علمت أنه كان مخمور فلم يسعه عقله أن يلاحظ الأمر، وأكد التقرير على هذه النقطة أيضا. أما عن النقطة الثالثة التي دونتها في مفكرتي بعد المعاينة الأولى، كانت أن القاتل ليس لصًا، لم يحتاج الأمر إلى ذكاء، كان المجني عليه يرتدى في عنقه ومعصمه وبعض أصابعه إكسسوارات من الذهب الخالص، وكانت حافظة نقوده ممتلئة بمبلغ لا بأس به من المال، وبعض كروت الفيزا، وكون هذه الأشياء لم تمس من الجاني، فهو فعل ذلك من أجل هدف آخر أكثر قيمة. النقطة الرابعة التي دونتها، هي أن الفاعل ماهر في التصويب، وأيضا أكد افتراضي تقرير الطب الشرعي. وعندما اطلعت على معلومات عائلته، وجدت أنك الأكثر تناسبًا مع صفات القاتل، لكني استبعدت هذه الفكرة مؤقتًا. والسبب في ذلك أنني لم أكن على علم بمستوى مهارتك في الرماية، وايضًا كنت أظن في البداية أن الجاني قاتل مأجور. وشعرت بصحة هذا الظن خلال التحقيقات، عندما توصلت إلى أن المجني عليه لم تكن علاقته طيبة بأقاربه، وكدت أن أتراجع عندما قابلت ابن وابنة عمك ووالدتك أخيرًا. الأول ضعيف النظر لا يمكنه أن يصوب بهذه الدقة، والثانية ممتلئة الجسم، أما عن الأخيرة فهي الوحيدة التي شعرت أنها تحمل حفنة كبيرة من الحب تجاه أخيها، وهذا ينفي تواطئها مع الجاني. لكني احتجزت بيشوي فقط لأنه الأكثر إدانه، ولظني

أنه ربما يكن لديه معلومة تفيد في القضية. وبعدها ذهبت إلى الفيلا مرة أخرى، وقمت بمعاينتها جيدًا وبدقة أكثر من المرة السابقة، وذلك كان من سوء حظك السئ".

توقف فجأة عن الحديث، واخرج من جيب سرواله كيس بلاستيكي، فرده فتدلى أمام أعيننا وظل يترنح يمينه ويسره مثل بندول. كان بداخله أعقاب سجائر ملتوية تشبه دود الأرض. كان لحديث عيسى بيه أثر كبير على الفتاة، التي أحيل وجهها إلى لون ثمرة البنجر من الداخل. أما عن أصابعها فكانت تشبكهم ببعضهم، وكانت ساقيها تهتز بقوة من فرط التوتر.

أما عني أنا فكنت أشعر بإثارة شديدة من هذه الاكتشافات، وكنت قد أشعلت نصف لفافات علبة سجائري.

استأنف عيسى بيه حديثه قائلًا:

_ الانتظار من أبغض الأشياء التي يمقتها الإنسان. لكن الحيوانات المفترسة على النقيض تمامًا، لأنهم يؤمنون بقانون الجهد المهدور، حتى يستطيعوا النجاح في الحصول على الفريسة، يتمتعون بالصبر الكافي على الكفاح من أجل البقاء. لكن من الواضح أنك كباقي البشر يؤلمك الصبر، مما جعلك تدخنين كل هذه اللفافات لتزكية الوقت، حتى ظهرت فريستك المتمثلة في (خالكِ) وقمتِ بإنهاء حياته.

لم تستطيع أن تتمالك نفسها صاحت قائلة:

_ لم أفعل ذلك. أنت فشلت في العثور على القاتل، وترغب في إلصاق التهمة باحد أقارب القتيل بلا دليل.

ضحك عيسى بيه بصوت مسموع، ثم عاد إلى كرسيه، وبعد جلوسه وضع ساق فوق أخرى، كان لازال مبتسمًا حين راح يستكمل حديثه، قال:

"كل ما تفعليه محاولات بائسة لن تجدي نفعًا. هذه اللفافات من نفس نوع سجائركِ؛ الذي دفعتكِ أن تشعليها منذ قليل حتى أتأكد، وأحب أن أطمئنكِ أنها ما زالت تحمل بصمات أصابعكِ الجميله. حتى ساعتكِ أيضًا التي سقطت دون أن تشعري، بجانب سور الفيلا التي كنت تتسلقيه. أما السؤال الأهم هو: كيف عرفت أنا، أن هذه الأشياء ملكا لك؟. صدقًا حدث ذلك عن طريق الصدفة، يمكنك القول إنه توفيق من الله. مجرد خاطرة جالت برأسي فأتبعتها.

"لن يستطيع الجاني أن يذهب في مهمة مثل هذه دون أن يستقل وسيلة نقل" هكذا حدثتني نفسي. لم يكن أمامي إلا المراهنه، على أن القاتل ربما لم يتبع قواعد الطريق. فقمت بالتواصل مع ضابط صديق في إدارة المرور، وطلبت منه أن يرسل لي صور المخالفين للقواعد، الذي التقطها الرادار الإلكتروني في التوقيت: ما بين الثانية عشرة بعد منتصف الليل والرابعة صباحا، على كل الطرق التي تقود إلى موقع الفيلا. وبالفعل ظللت أبحث

بينهم حتى وجدتكِ، كنتِ تقودين دون ارتداء حزام الأمان، وبسرعة مخالفة عن المسموح به. وبالبحث عن رقم السيارة اكتشفت أنها ليست ملككِ، بل مسجلة باسم المدعو (رامي سيف ملاك). وحين قمت بزيارته علمت بإستعارتكِ لسيارته بحجة البحث عن دواء والدتكِ. لكنه أخبرني بشيء غريب جدًا، وهو أنكِ اخبرتيه بقصة ساذجة لن يسمح عقل عصفور بتقبلها_إن كان للعصفور عقل. وهي أنكِ أثناء وقوفك بانتظار إشارة المرور في مكان ما، عبثتِ بمسدسه المرخص التي عثرت عليه عن طريق الصدفة، وخلال فحصك للخزانة بدافع الفضول، قمتِ بإسقاط إحدى رصاصاته، وظللت تبحثين عنها في أرضية السيارة وفشلتِ في إيجادها، وأنهيتِ حكايتكِ الخائبه معتذرة عن ذلك. وبما أنه شاب مستهتر وشبه فاقد الوعي طوال الوقت؛ من فرط تناول المخدرات والكحول. واعتمادًا على مهنة والده الحساسه والمهمة في آن واحد، لم يهتم بخطورة الأمر ظنًا منه في صدقكِ، أملًا في العثور عليها فيما بعد، طالما أنها لم تسقط خارج سيارته. وعندما فحصت الطبنجه، وجدتها مطابقة لما ذكر في تقرير الطب الشرعي. وهي راقدة الآن داخل درج مكتبي_وبالطبع تغلفها بصماتكِ. لكن ما كان يحيرني حقًا، كيف لم يشعر سكان الفيلل المحيطه بصوت إطلاق النار؟، خاصة في توقيت مثل ذلك، ومنطقة مثل هذه تتمتع بالهدوء التام. لذلك دفعني الفضول للقيام ببعض الزيارات الودية لبعض الجيران، حتى توصلت إلى الإجابة. كانت فكرة ذكية منكِ، أن تطلقي بعض الألعاب النارية التي تسمى (شماريخ) فور إطلاق الطلقة. ونجحتِ بالفعل في إيهام المحيطين أن هناك احتفالًا داخل الفيلا. لقد قمتِ بالتخطيط مستنده على قانون الكنيسة الأرثوذكسية (مادة 247)، الذي ينص على:"إذا لم يكن للمورث فرع ولا أب ولا أم، فإن صافي تركته_بعد استيفاء نصيب الزوج_أو الزوجة_يؤول إلى إخوته وأخواته، ويقسم بينهم حصصًا متساوية متى كانوا متحدين في القوة، بأن كانوا كلهم إخوة أشقاء_أو إخوة لأب أو لأم، لا فرق في ذلك بين الأخ والأخت".

وبناءًا على ذلك سوف تحصلين على نصيب والدتكِ بسهولة. أظن أنني كنت كريمًا جدًا معكِ وأخبرتكِ بكل شيء. أما الآن فقد حان موعد غلق الستار_لأن العرض انتهى"

.....

الخاتمة

بعدما انتهى التحقيق بانهيار الفتاة، واعترافها بصحة كل ما قاله عيسى بيه. وحين أتيحت لي فرصة الاختلاء به، عبرت له عن إعجابي الشديد بذكائه، ودقته في نسج كل هذه الخيوط المعقدة. لم يكن رد فعله سوى ابتسامة هادئة، ثم بتواضعه المعتاد ربت فوق كتفي وقال:

_ إنه توفيق الله في المقام الأول يا حسن، بالإضافة إلى شغفي بالبحث عن الحقائق. الفرق الوحيد الذي يميز الشخص الناجح في عمله عن غيره، هو حبه الحقيقي للوظيفة التي يمتهنها. وهذا شيء لا ينطبق إلا على الإنسان الذي استطاع اكتشاف ذاته، وعرف حقًا الحكمة من القدرات التي وهبهُ الله إياها، وفطن إلى الهدف من وجوده في هذه الحياة.

(تمت)